

# من همومنا في النقد ...

بمّ عدنان ابن ذريل

الشعر ، والنثر ، كليهما ، جميعا . . فتجد الناقد الذي من هذا الطراز ، يؤثر نوعا من القريض ، او من القصص ، فيبين حاسنه ، ويظهر مواطن الجمال فيه ، وينافح عنه ، ويدعو اليه . .

هذا النوع من النقاد ، في نظري ، صعب الاطمئنان الى أحكامه . . انه بالاحرى بوق دعوة ، وصدى لحدود . . فمثلا تجد بعض نقاد القصة اليوم ، او بالاحرى من تصدوا لنقد القصة ، يتحزب للمشكل ، العضل ، المعقد ، والانساني ، على حد تعبيره ، من القصص ، فيعزف عن كل نوع قصصي آخر ، واقعي ، او رمزي ، ناعتا ذلك بالسطحية ، او القصور . . كما تجد بين نقاد الشعر اليوم ، او من يزعمون نقده ، من يتحزب للانماط الحديثة من الشعر ، من حياتية ، او متحررة ، ويعزف عن كل اثر شعري غيرها ، من ملحمي ، او مسرحي . . ناعتا ذلك ايضا بالتكلف ، والافتعال . .

ومن مظاهر النقد الادبي اليوم ، الاخذ بالمنهج العلمي ، ويظن البعض ان الاخذ بالمنهج العلمي في النقد هو ان نكون آلات صماء للقياس ، والتصنيف ، نقرر ، ونسقط ، ونسوا ان النقد الادبي في اساسه عملية تقييم ، وذوق ، وانه حكم بالجودة ، او الرداءة ، بالجمال ، او القبح . . وان معظم ما يقومون به من تقرير ، او تصنيف ، حول الادب ، نقل ، او سقط من المتاع . . ليس من النقد في شيء . .

ان المذاهب الجمالية الكبرى ، كالمبادئ التي وراء الابداع لا تفيد النقد ، كما ان تقصي اسبابها ، وخصائصها في الاثر الادبي لن يخدم قضية النقد . . ان مجال النقد مجال أدق . . انه لا يتعدى جارة الاديب ، او المنشئ ، في تجربته ، تفهمها ، وتدوقها ، والحكم عليها . . بما لها ، وما عليها . .

ومن مظاهر النقد الادبي اليوم ، الاخذ بالاسباب الاساوية . . فازدهار الادب اليوم دفع بالنقاد الى اعتبار الاسلوب في مجموعه ، في الاثر الادبي ، بدل اعتبار الجملة ، او اللفظة فيه . . وتكاد النظرة الاساوية اليوم ان تكون عمل النقد الادبي . . فحديث النقاد في الشعر

ما اكثر ما أهمنا النقد الادبي اليوم ! . وما اكثر ما تشكينا من افتقاره ، الى الناقد المنصف ! . وما اكثر ما التمسنا الحلول لمشكلة النقد والنقاد ! .

ولا مرأ ان الادب اليوم في ازدهار ، تسري فيه روح بعثنا الجديد ، وتنعكس فيه آمالنا ، وأمانينا . . فالشعر قد تطور عن ذي قبل ، والنثر يحيا حيوات جديدة ، وكلاهما . . الكثير منهما جيد ، قيم ، ينم عن أصالة ، وتجديد !!

اما النقد الادبي ، الذي يواكب حركات الشعر والنثر ، فما يزال الى اليوم ، دون المستوى المرجو له . . وسيظل كذلك حتى يقبض له التأصيل الدقيق ، الامين . . فقد تطمئن اليوم لقراءة قصة ، او رواية ، وتطمئن كذلك الى سماع قصيدة ، في حين يندر ان تطمئن الى نقد ذلك كله . . لان النقد الى اليوم أمشاج من آراء ، وانطباعات ، وخواطر في مذهب من المذاهب ، او منحى من المناحي ، او اثر من الآثار . .

من مظاهر النقد الادبي الحديث ، ان الادباء ، والمنشئين اليوم يدبجون الصفحات تساو الصفحات ، في أهياهم ، وفنيتهم ، يشرحون فيها تفننهم ، ويبررون لحدودهم على هذا النحو ، او ذلك ، وتجد ذلك عند الشعراء ، والقصاصين ، والروائيين ، والمسرحيين ، على السواء . .

فالتأصيل عند الاديب ، او المنشئ اليوم يكاد ان يطغي على الابداع عنده ، ويكاد ان يفسده . . وكثيرا ما هو بالفعل يربكه . . وكثيرا ما هو يفسد على القارىء ذوقه ، وعلى الناقد أحكامه . . ان تراث هذا التأصيل الذي للادباء ، والمنشئين أنفسهم ، لا شك قيم ، وهو اليوم في ازدياد . . وان دراسته لا شك ايضا مفيدة . . الا ان علينا ان نظل منه على حذر ، نعرضه بدقة ، ونفنده بأمانة . . انه ارادة المبدعين في ابداعهم ، وفنيتهم في فنهم . . وكثير منه جزئي ، او ذاتي . . في حين النقد الادبي أوسع أفقا ، وأرحب منطلقا . .

ومن مظاهر النقد الادبي اليوم ، ارادة التمذهب ، والدعوة الى لحدود دون آخر . . وقد تجلت ايضا في

اليوم ينصب في موضوعه عامة ، ثم في صفات هذا الشعر ، سبكه ، وأخيلته .. وحديث النقاد في القصة ، او الرواية ، او المسرحية اليوم كذلك ينصب في سردها ، وعقدتها ، في اشخاصها وتحليلها ، ثم في ديباجتها ، والفاظها ..

والمميزات الاسلوبية ترجع الى الاديب ، او المنشئ ، وطريقته في التفكير ، او التعبير .. وهي لا شك غير الخصائص التي يتميز بها مذهب من المذاهب .. فالتمذهب انشاء ارادي لزمرة من الادباء ، او المنشئين تحت مبادئ معينة ، يعملون لها ، وينافحون عنها ، تميز أدبهم بخصائص عامة ، مشتركة .. في حين الاسلوب طريقة في الكتابة ، او القريض .. فيها طابع صاحبها في شعوره ، وتخيله ، وادائه .. وعلى الناقد اليوم تمييز ذلك كله ، التمييز الدقيق ، الامين ..

وقد نشط كثير من البلاغيين اليوم للتجديد في البلاغة العربية .. فعمدوا الى القديم ، يستقصون له ، وينخلونه .. والى الجديد ، يتدارسونه ان في مظان الاقتباس ، او على النماذج الادبية الحديثة نفسها ..

وقد اقتصرت كتب البلاغة القديمة ، الا فيما ندر ، على دراسة احوال الجملة ، واللفظة ، كما ان ما ترجم قديما عن بلاغة القدماء من يونان ، او لاتين ، لم يف بالقصد البلاغي عن السلف ، ولم يصب مطلبا في بلاغة العرب ، وقد كانت بلاغة القدماء من اليونان ، او اللاتين ، اسلوبية .. تعالج اساليب كبرى في مجموعها ، وفنيتها . مثل الخطابة ، والتعليم ، او مثل المأساة ، والمهابة ، والملحمة .. ولما لم يكن في تراثنا القديم مثل هذه الاساليب ، فقد أهملت ، وظل تأثيرها في الفكر البلاغي محدودا ..

وقد ورثت مظان الاقتباس اليوم ، على تنوعها ، بلاغة القدماء من اليونان ، واللاتين ، ولم تتوفر لتطورها ، او التجديد فيها .. اللهم ، الا في جزئيات بسيطة ، جاءت ثانوية .. في حين كان نصيب الدراسات الجمالية ، والنقدية عندها ، اكبر .. وذلك منها ، مجازاة لتقدم العلوم ، والبحث العلمي .. ولذلك وجدنا مظان الاقتباس توفر الدراسات الجمالية ، والنقدية ، على الخصوص العلمية منها .. وقد اخذنا ننشط لمثل هذه الدراسات نفتفي فيها اثر من سبقنا في بحثها .. ومن هنا هذا الرصيد العربي الكبير الذي نجده في الدراسات الجمالية والعلمية ، النفسية والاجتماعية ، في الفن ، والادب ،

والنقد .. وهي دراسات مفيدة ، وتخدم قضية النقد .. الا ان النقد الادبي شيء اخر يحتاج هو نفسه الى تأصيل ، ودعم ..

والنقاد اليوم يستقون معاييرهم من مناهل عدة .. من مظان الاقتباس التي يحاولون اصطناع معاييرها ، ومن نتاج المبدعين ، وآرائهم في فنيتهم ، ومن ارث البلاغة العربية ، والتجديد الحديث فيها .. والمذاهب الادبية اليوم متعددة في التأليف ، والتقييم .. والنظرة الاسلوبية في النقد تكاد ان تطفئ على كل نظرة اخرى فيه .. وفي السوق كثير من المذاهب الجمالية ، والعلمية ، في الادب ، والنقد ..

وفي نظري ... سيظل العرب مع الاسلوب ، ويظلون مع الذوق .. ان المستقبل للبلاغة التي ستحدد ، بتجديدها ، الاصول في بحث الاسلوب ، وتقده . كما ان المستقبل للموضوعية التي تميز بها الفكر العربي طيلة عصوره .. وليس بعيدا اليوم الذي نجد فيه النقد الادبي عندنا موضوعيا ، اسلوبيا ، يقوم على العلم ، وينصف الذوق ..

عنان ابن ذريل

دمشق

## فتاة في المدينة ..

مجموعة اقاصيص بقلم

محمد ابو المعاطي ابو النجا

صدر حديثا

دار الاداب